

النص المعجمي؛ مفهومه ومقوماته في ضوء الصناعة المعجمية الحديثة

حنان غباط، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر

ملخص

إن الحديث عن النص المعجمي هو حديث في صميم المعجمية المعاصرة. وعلى الرغم من أهميته إلا أنه لم يحظ باهتمام الباحثين المعجميين. وتعد أهم محاولة في هذا اتجاه التنظير للنص المعجمي محاولاً الصلة المعجميتين «محمد رشاد الحمزاوي»، و«إبراهيم بن مراد»، فقد نظرا له في العديدين من بحوثهما. وذلك حتى حديثهما عن مقتضيات الصناعة المعجمية.

فللمعجم نص قائم الذات يعتبر بنيته الدنيا التي لها ثوابتها وخصائصها وهي ما نسميه النص الصغير أو النص الأساس. فالمعجم مكون من الآلاف بل من ملايين النصوص الصغيرة، وهو يكون بالتالي النص الكبير الذي يحوي جميع النصوص الصغيرة، أما إذا قارنا المعجم بأنواع النصوص الأخرى، مهما كان نوعها، فإننا نستطيع أن ندعو المعجم بأنه النص الأكبر من حيث الكم وكذلك من حيث الكيف لأنه يحتوي، زيادة على أغلب مفردات اللغة، على كل القضايا الصوتية والدلالية والنحوية والصرفية والبلاغية والأسلوبية والأدبية والتاريخية.

فلا يمكننا أن نتحدث عن النظريات المعجمية وممارساتها وعن مدى تطابق النظريات واستعمالاتها في مبن المعجم، ما لم تكن لنا فكرة واضحة عن مفهوم النص المعجمي الذي تعد دراسته جديدة من قضايا المعجمية اليوم. دراسة معجمية تعرض علينا أسسه ومفاتيحه حتى نعلمها مقياساً نقيس به صلة النظريات المعجمية بتطبيقاتها.

الكلمات المفتاحية :

المعجم، النص المعجمي، النظرية المعجمية، الجمع، الوضع، المدونة المعجمية.

Summary

Talking about the lexical text is the fundamental theme of contemporary lexicography. On the opposite and despite its importance, it is not yet discussed by many researchers in lexicology.

All the same, the first attempt remains that of some lexicographers who wanted to study its theoretical part. We state by here Mohammed Rachad El Hamzaoui, and Ibrahim Ben Mourad, who

have pointed at this topic of the lexicography.

Dictionary is therefore, a text by itself that has its own basic and constant structure a small text or the basic text. Dictionary is constituted of thousand and rather Million of small texts that form the big text by the end. On the other hand, if we come to compare Dictionary to other kinds of texts, we shall name it the biggest text by reference to both quality and quantity since it contains all linguistic levels ; Phonetics, Syntax, Morphology, Symantics, Rhetoric, Stylistics, Literary and Historical linguistics. In addition to the set of terms that it holds.

Thus, we won't speak about lexical theories and their application or even their conformity and use in a lexical corpus until we have a clear idea on the concept of the lexical text being a new study in the field of lexicography nowadys. It exposes to us all the principles and keys we would use in order to detect the relationship between the lexical theories and their applications.

Key-words: Dictionary, Lexicography, The lexical text, Lexical theory, The Collection, The Order, The Lexical Corpus.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
إلى يوم الدين، وبعد؛

مقدمة :

يعدّ الحديث عن علم المعاجم وصناعة المعاجم أهمّ ما يشغل اللسانيين في العصر الحديث؛ ذلك أنّ معظم العلوم الحديثة تبلورت ملامحها وأخذت نهجها، ولكن المعجمية عموماً لازالت تتخبّط بين الباحثين بين متعصّب للتراث المعجمي العربي ومتفتّح على المعاجم الغربية.

يشهد العصر الحديث تزايداً في التنظير المعجمي العربي كما وكيفا، فما أكثر المعاجم التي ظهرت حديثاً لتساير الصناعة المعجمية الحديثة. وتستدرك العيوب على المعاجم القديمة، وما أكثر المقالات والكتب التي تنظر للعمل المعجمي، وترجم لأهمّ الأعمال اللسانية والمعجمية عند علماء الغرب.

وتعدّ مسألة الحديث عن النص المعجمي من أهمّ المسائل المعجمية فقد تناوله اللغويون بالدرس والتمحيص من أجل صياغة نظرية معجمية عربية متكاملة؛ ولدى جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء عن مفهوم هذا النص المعجمي ومقوماته في ضوء الصناعة

المعجمية الحديثة.

أولاً: مفهوم الصناعة المعجمية :

1 - تعريف صناعة المعاجم :

يعرّف «محمد رشاد الحمزاوي» «صناعة المعجم» بأنها «مقاربة تسعى من خلال رؤى نظرية وتطبيقية إلى أن تتصور بنية، أو بنى المعجم والتطبيق لها»⁽¹⁾، وهو يطلق عليها اسم «المُعْجَمِيَّة» (بفتح الميم)، حيث نجده يقول: «المُعْجَمِيَّةُ تعني بها صناعة المعجم من حيث مادته وجمع محتواه ووضع مداخله وترتيبها وضبط نصوصه ومحتوياته وتوضيح وظيفته العلمية والتطبيقية، أداة ووسيلة يستعان بها في الميادين التربوية والتلقينية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية .»⁽²⁾

أما «حلمي خليل» فيطلق عليه «فن صناعة المعجم» أو «المعجم التطبيقي»، ويرى أنه يقوم بعدة عمليات تمهيدا لإخراج المعجم ونشره.⁽³⁾

ويطلق «مهند الركيك» مصطلحا آخر لمفهوم Lexicographie فيقول: «نعتقد أن المصطلح الأقرب إلى Lexicographie هو «قاموسية»؛ وهي أكثر دلالة ووضوحا من المصطلحات الأخرى، ويرى بأنه بخلاف علم المعاجم الذي يهتم بالجانب النظري المتعلق بقضايا المعجم تنصرف القاموسية Lexicography إلى دراسة المجال التطبيقي للمعجم، فالقاموسية هي بمثابة تقنية وصناعة تسعى إلى إعداد القواميس»⁽⁴⁾، ويرى أنّ «القاموسية» هي ذات مستويين نظري وتطبيقي، فالنظري يراد به الأسس والقضايا النظرية المعجمية التي يقدمها عالم المعاجم للقاموسي، والتي ينطلق منها هذا الأخير كإطار نظري يستند إليه في مجال الإعداد القاموسي والتطبيقي، المقصود به الصناعة أو التقنية التي ينفجها القاموسي لإعداد القواميس.⁽⁵⁾ من التعريفات السابقة لما يتعلق بصناعة المعجم، يتضح لنا أنّ الباحثين يكاد يتفقون على مضمونه، وتحديد معالمه وحدوده وموضوعه؛ إذ يتفقون على ما يتعلق بتلك الأدوات، والإجراءات المؤدية إلى إنتاج المعجم، ولكنهم يختلفون في تحديد المصطلح الذي يسمّى به هذا العلم، فقد وجدنا عدة مصطلحات لهذا العلم منها: صناعة المعجم، معجمية بفتح الميم، قاموسية، وهم يختلفون كذلك في عددها علما أو فنا أو مقاربة.

2 - موضوع صناعة المعاجم :

بناءً على ما سبق فإنه يمكننا القول إنّ «صناعة المعجم» علم يقوم بعدة عمليات تمهيدا لإخراج المعجم ونشره، فهو ذو هدف أساسي؛ وهو إنشاء معجم عام للغة معينة، وعليه فإنه يستعين بعدة إجراءات وتقنيات، وتتمثل هذه الإجراءات في:

- 1- جمع المفردات أو الكلمات أو الوحدات المعجمية من حيث المعلومات والحقائق المتصلة بها.
- 2- اختيار المداخل.
- 3- ترتيب المداخل وفق نظام معين.
- 4- كتابة الشروح أو التعريفات وترتيب المشتقات تحت كل مدخل.

5- نشر الناتج في صورة معجم أو قاموس .⁽⁶⁾

وقد جمع هذه الخطوات «علي القاسمي» حين قال: «أما الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس، هي جمع المعلومات والحقائق واختيار المداخل وترتيبها طبقا لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر الناتج النهائي، وهذا النتاج النهائي هو المعجم أو القاموس .»⁽⁷⁾

وبذلك فإنه يمكن القول إن الصناعة المعجمية هي المجال التطبيقي للمعجمية عامة.

ثانيا : مفهوم النص المعجمي :

يعد المعجم ذلك الكتاب الذي يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا إما على حروف الهجاء أو بحسب الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها .⁽⁸⁾

إن هذا التعريف للمعجم يقودنا إلى مسألة مهمة من مسائل النظرية المعجمية وتطبيقاتها، وهي ضرورة الكشف عن الإطار العام الذي يحمل المداخل وما تحويه من جهة، والمداخل وطريقة إيرادها من جهة أخرى، وهو ما يعرف «بالنص المعجمي».

إن الحديث عن النص المعجمي يعد لب المعجمية المعاصرة، وعلى الرغم من أهميته إلا أن التنظير له لا يزال قليلا، حيث أنه لم يحظ باهتمام كثير من الباحثين اللغويين، ويعد «محمد رشاد الحمزاوي» من المعجميين اللذين حاولوا الخوض في غمار هذا المفهوم المعجمي، وذلك حين تحدث عما تقتضيه الصناعة المعجمية في العديد من بحوثه، حيث نجده يقول: «لا يمكن لنا أن نتحدث عن النظريات المعجمية وممارساتها وعن مدى تطابق النظريات واستعمالاتها في متن المعجم، ما لم تكن لنا فكرة واضحة عن مفهوم النص المعجمي الذي لم يدرسه سوانا إلى اليوم دراسة معجمية تعرض علينا أسسه ومفاتيحه حتى نعتمدها مقياسا نقيس به صلة النظريات المعجمية بتطبيقاتها .»⁽⁹⁾

وبذلك فإن «محمد رشاد الحمزاوي» وحسب ما أقره يكون الرائد في دراسة موضوع مهم وجانب أساسي في مجال المعجمية عامة .⁽¹⁰⁾

إن الحديث عن مفهوم النص المعجمي لا يعني الحديث عن النص العام أو الكبير الذي يتكون منه المعجم، حيث إن النص العام هو ذلك النص الكبير الذي يتكون منه المعجم ككل بينما «النص المعجمي» هو جزء منه، ومجموع النصوص المعجمية الصغيرة هو ما يؤد لنا معجما عاما قائما بذاته، وهذا ما يجعلنا ندرك أن: «للمعجم نصا قائم الذات يعتبر بنيته الدنيا التي لها ثوابتها وخصائصها وهي ما نسميه النص الصغير أو النص الأساس، فالمعجم مكون من الآلاف بل من ملايين النصوص الصغيرة، وهو يكون بالتالي النص الكبير الذي يحوي جميع النصوص الصغيرة.

أما إذا قارنا المعجم بأنواع النصوص الأخرى، مهما كان نوعها، فإننا نستطيع أن ندعو

المعجم بأنه النص الأكبر من حيث الكمّ وكذلك من حيث الكيف لأنه يحتوي، زيادة على أغلب مفردات اللغة، على كل القضايا الصوتية والدلالية والنحوية والصرفية والبلاغية والأسلوبية والأدبية والتاريخية. «⁽¹¹⁾

وبذلك فإن هذا الكم وهذا الكيف الذي يحويه «النص المعجمي» يجعله المحك الذي تقاس به قدرة المعجم على أداء وظائفه المعرفية والتعليمية والتربوية والثقافية والحضارية، وعلى التوفيق بين ما يزعم من نظريات وما لها من تطبيقات، ولقد دعا ذلك المعجميين إلى التحرك باستمرار بحثاً عن البنية المعجمية العلمية التي تربط النظام المتصور بالنظام المطبق، ومن هنا ندرك أن مفهوم «النص المعجمي» مشروع مفتوح، ذلك أن تاريخ المعجم العربي هو تاريخ نصه وخصائصه وفتياته. «⁽¹²⁾

ثالثاً : مقومات النص المعجمي :

إنّ النظريات اللسانية في العصر الحديث تدعو إلى ضرورة قيام النظرية المعجمية على مبدئين أساسيين يعدّان من مقومات «النص المعجمي» وهما مبدأ (الجمع والوضع).

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذين المصطلحين ليسا جديدين على الساحة المعجمية العربية؛ بل إنّنا وفي القرن الثامن هجري وجدنا «ابن منظور» (711هـ) في «لسان العرب» ينتقد منهجية سابقه من المعجميين مصرّحاً أنهم وقعوا في الاضطراب والخلط قائلاً: «وإني لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والأطلاع على تصانيفها، وعلل تصانيفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أمّا من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأمّا من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع. «⁽¹³⁾

وبهذا النص يتضح لنا مدى معرفة «ابن منظور» وغيره من المعجميين المعاصرين له، لهذين المصطلحين المعجميين المتخصصين حتى وإن لم يحاولوا التنظير لهما، حالهما حال علم المعاجم عامة في ذلك العصر.

إن الجمع والوضع على مستوى النص المعجمي يكوّنان لنا «ثنائياً لسانياً معجمياً دولياً مترابطاً، فالأول (الجمع) يرادف مفهوم المحتوى Corpus، والثاني (الوضع) مفهوم التركيب Ordre، عند اللسانيين الغربيين. «⁽¹⁴⁾

1 - الجمع :

إنّ الحديث عن مصطلح «الجمع» يقتضي منّا التعرض لمسألة المصادر المستخدمة في النصوص المعجمية، ذلك أنّ الجمع يفترض ضبط المصادر والمراجع المكتوبة والمقولة حسب كل المستويات المتفق عليها والمحددة زماناً ومكاناً لا خروج عليها باعتبار المعجم الموضوع ووظيفته الأساسية. «⁽¹⁵⁾

ولذلك يُتفق على أن الجمع يقوم في أساسه على ضبط الرصيد الجزئي الذي قد يصغر، وقد يكبر، من المفردات التي سيشتمل عليها المعجم المدوّن. «⁽¹⁶⁾ إن هذا الجمع للمفردات هو ما يكوّن ويفترض المادة التي يجب أن يستوعبها المعجم⁽¹⁷⁾، ذلك أنه يستحيل بناء معجم

متكامل ما لم تكن مادته مجموعة جمعا وافيا متكاملًا.

وهذه المادة هي التي اصطلحت اللسانيات الوصفية على تسميتها بـ«المدوّنة»؛ وتعني «مجموعة من النصوص المكتوبة أو المقولة أو مجموعة من المراجع المختارة تأخذ سندا لوضع أسس لغة ما أو معجم أو مؤلف في موضوع من المواضيع. وغايتها منهجية تضبط حدود الموضوع زمانا ومكانا وميدانا»⁽¹⁸⁾، وبذلك فإنه لكي تمثل المدوّنة نصوص اللغة يجب أن تحوي كما هائلا منها وبشكل يمثّل فترات زمنية متعدّدة لكي يحوي معلومات عن تطور اللغة ومفرداتها، ويجب أن تحوي كل فروع العلم من تخصصات علمية وإنسانية، كما يجب أن تحوي النصوص التراثية والنصوص الحديثة.⁽¹⁹⁾

أما فيما يخص المدوّنة المعجمية فهي تفترض أن يعتمد الجمع على مستويات لغوية مبرّرة دون أحكام إقصائية أو تحقيرية؛ بل تقر خيارات لغوية لها أهدافها ومقاصدها، وهي تستوجب أن يرتبط الجمع بزمان ومكان أو أزمنة أو أمكنة معيّنة، مما يدعو إلى جمع اللغة في حالة استقرار ومزامنة أو في حالة استنفار أو تطور وتغيّر ممّا يدعو إلى وضع معاجم مختلفة لها نصوص مجموعة متنوعة.⁽²⁰⁾

وبهذا فإن تنوع المعاجم واختلافها مرهون بتباين المدوّنة التي يتم جمعها من مختلف المستويات اللغوية، وبذلك فإنّ نوع المدوّنة هو الذي يحدّد لنا نوع المعجم المنجز. وكخلاصة لما تقدم فإن الجمع يقوم على ركنين أساسيين هما:

1 - المصادر التي تعتمد في جمع الرصيــــد المعجمي.

2 - والمستويات اللغوية التي تنتهي إليها المفردات المجمعة.

وبذلك فإنه يستوجب من المعجمي اختيارات عديدة منها ضبط حجم المعجم، وبالتالي مداخله؛ أي مفرداته، والمراحل اللغوية التي يجب اعتمادها سواء القديم أو الحديث منها، ونصيب المصطلحات الفنية والتقنية منه، وحظ المستويات المختلفة (الفصح، المولد، العامي، المعرب، الدخيل...) التي يجب إدراجها به، وخاصة نصوص الاستشهاد التي يستند إليها التعريف بمختلف معاني الكلمة الواحدة في سياقات متعددة.⁽²¹⁾

وقد قسم «محمد رشاد الحمزاوي» الجمع إلى قسمين هما: المداخل والنص المحض.

1 - المدخل أو العنوان: أي الكلمة المعروضة للشرح والتفسير ويطلق عليها أهل الاختصاص مُعْجِمَة Lexie نسبة إلى المعجم⁽²²⁾، وهي تتكون من ثلاثة أنواع:

أ- مُعْجِمَة بسيطة Lexie simple: وتكون الوحدة المعجمية فيها ذات خاصية الأفراد؛ أي أن تكون مفردة⁽²³⁾، ومثاله: إنسان، فرس، جبل.

ب- مُعْجِمَة مركّبة Lexie composée: والتركيب يصحب في المعجم ما يسمّى بظاهرة التضام، وهو في الوحدة المعجمية أن يتجمع عنصران معجميان، أي مفردتان، أو أكثر من عنصرين تجمعا عاديا ليحصل من ذلك التجمع أمران: أولهما هو الإحالة إلى تجربة الجماعة اللغوية في الكون، وثانيهما هما حمل العنصرين المتضامين أو العناصر المتضامة وحدة دلالية قابلة

للتحديد ومثالها: أذان الأرناب، وأذان الفأر، وهما اسمان لنباتين.⁽²⁴⁾

ج- مُعْيِجِمَةٌ مَعْقَدَةٌ Lexie complexe: هي كثيرا ما تكون من جملة كاملة تفيد معنى واحد مثل «ذهبوا شذر مذر»: تفرقوا، و«اختلط الحابل بالنابل»: تداخلوا، وهذا النوع كثير اليوم في المصطلحات العلمية والتكنولوجية الغربية المنقولة إلى العربية.⁽²⁵⁾

2 - النَّصُّ الْمُحَضُّ أَوْ التَّعْرِيفُ :

ونقصد بالنص المحض ما يلي المدخل مباشرة، وهو من أهم عناصر المعجم؛ لأنه متصل بالبحث عن دلالة المدخل ومعناه، ويتكون من تعريفات تعتبر أساس النص المعجمي المكتمّل.⁽²⁶⁾

ويعد التعريف أو الشرح عموما المطلب الرئيسي لمستعمل المعجم فهو أكثر ما يهم الباحث، وإذا كان التعريف ناقصا أو غير مكتمل فإن مستعمل المعجم حتما سينفر منه؛ لأنّ الركيزة الأساسية التي تحدّد نجاح أو فشل المعجم تكمن في جلاء الشرح ووضوح المعنى، فالمعجم مصنوع أساسا لشرح معاني المفردات.

وقد حدد «محمد رشاد الحمزاوي» أنواعا للتعريف، أو الأصح، للشرح، وهي كالآتي:⁽²⁷⁾

1 - التعريف الصوتي: والمقصود منه كتابة المدخل كتابة صوتية تختلف عن كتابته الخطية أو الإملائية، وهذا غير وارد في العربية، ولا بد من للمعجم العربي أن يعتمد نظاما صوتيا لنقل المدخل نقلا فونولوجيا موحدًا متفقًا عليه كما هو الشأن في اللغات الرائدة ومعاجمها لأنّ الصوت يلعب دورا أساسيا في المستوى الدلالي.

2 - التعريف الصّرفي: وغايته ذكر صيغة المدخل وتصريفاتها، وما تعبر عنه من دلالات، فالفرق واضح بين «كَتَبَ» و«كَاتَبَ» و«اُسْتُكْتُبَ» فضلا عن توزيعاتها وتوليداتها في النصوص المختلفة.

3 - التعريف النّحوي: ومنه الإشارة إلى المذكر والمؤنث والمفرد والجمع والتركيب وما لها من دور دلالي، وكذلك ما قد يلحق بهذا التقديم والتأخير والحذف واللزوم والتعدية، وغيره.

4 - التعريف الدلالي: ويعرّف غالبا بالشرح أو التفسير، ويوفر معنى الكلمة المدخل، وبه يتعلّق مستعمل المعجم والمستفيد منه ولذلك يعتبر أهم أنواع التعريف ويتفرّع إلى:
أ- تعريف اسمي: ويكون إما بالترادف أو بالمخالفة، بالصعب، بالإحالة.
ب- تعريف منطقي: وهو يعرف المدخل بالطبيعة والوظيفة.

ج- تعريف بنوي: ويعرف المدخل بالمقابلّة أو بالمعاوضة.⁽²⁸⁾

5 - التعريف المجازي: وهو الذي يقر تطور الكلمة من معناها الأول الأصلي إلى معنى جديد يفرضه السياق.⁽²⁹⁾

6 - التعريف بالشاهد: إن الشواهد اللغوية لها قيمة في إثراء النص المعجمي، وقد تنبه إليه اللغويون عامة قدامى ومحدثين، ولذلك نجد «الجرجاني» في تعريفاته يقول: «إنّ الشاهد هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.»⁽³⁰⁾

فالشاهد يقوم على أساس التّديل على استعمال لغوي معين في الصوتيات أو الصرف أو النحو، قديم أو معاصر، مكتوب أو مسموع يستعين به اللغوي على تحليل ظاهرة معينة من حيث سلامتها، ومدى انتشارها وزمن استعمالها.⁽³¹⁾

ولم يقتصر الشاهد على عناية اللغويين فحسب؛ بل اهتم به المعجميون كذلك وهو عندهم كل عبارة أو جملة أو بيت شعري أو مثل سائر يقصد منه لتوضيح استعمال اللفظة التي نعرفها أو نترجمها في المعجم.⁽³²⁾

وبذلك فإن الشاهد يتضمّن «كلّ نص له مرجعية ثابتة مقيدة بقائل أو غير مقيدة (قرآن، حديث، شعر، حكمــــــــــــة، مثل، قول مأثور، وكل عبارة مقتبسة من نص أدبي أو علمي).»⁽³³⁾ ونجد الشاهد في النص المعجمي يتنازعه رأيان متناقضان، اتجاه معياري يركز على مرحلة معينة ونوع معين من النصوص في الاستشهاد؛ وهو متشدد في الأخذ بالشاهد من أي مصدر، وفي مستويات اللغة المختلفة⁽³⁴⁾، أما الاتجاه الآخر فهو الذي يدعو إلى ضرورة اقتباس معظم الشواهد من الكتاب المعاصرين بصرف النظر عن خلود نتاجهم الأدبي أو جودته فبرأيهم أن المعجمي هو مشرّع وليس مؤرخا.⁽³⁵⁾

وقد وضّح «حلام الجليلي» وظائف الشواهد في المعاجم اللغوية؛ وهي عنده كالآتي:⁽³⁶⁾

- 1 - تأكيد وجود الكلمة المدخل أو دلالتها في اللسان المُعجم، وتظهر هذه الوظيفة في المعاجم القديمة، وسبب ذلك تسجيل مفردات اللغة برمتها، وكذا البرهنة على وجود المفردات النادرة التي يوردونها في المعجم.
- 2 - ضبط دلالة المدخل والإسهام في تعريفه، لتحديد الدلالة الخاصة والمجال الاستعمالي لها.
- 3 - تسهيل قضية تتبّع نشأة الكلمة وتطورها الدلالي عبر العصور.
- 4 - الوقوف على الخصائص الأسلوبية للمدخل ومستواه الاستعمالي من حيث درجة فصاحته، للتمييز بين الفصيح والعامي، اللهجي... وغيرها من مستويات اللسان.
- 5 - إبراز المرجعية الحضارية للفظ باعتبار الشاهد مثالا حيا ونموذجا صادقا يعبّر عن القيم الفنية والعلمية.

وبذلك فإنه، زيادة ما للشواهد المقيدة من أهمية في تعريف المداخل وإدماجها في النظام اللساني وإبراز مجالاتها الاستعمالية، فإنها تعتبر عناصر أساسية في بناء النص المعجمي، وإذا كانت المعجمية المعاصرة تعتبر المعجم خطابا أو نصا متكاملًا، فإن الشواهد والأسيقة تصبح نصوصا ضرورية لإثراء هذا الخطاب المتكامل علميا وتربويا وثقافيا.⁽³⁷⁾ وهذا ما دفع الباحثين إلى التأكيد على أنّ المعجمية السليمة في جوانبها المختلفة لا بدّ أن تقوم على الشواهد.⁽³⁸⁾

وبذلك فإن هذه التعاريف الستة هي التي يقوم عليها النص المعجمي في مستوى الجمع، وينبغي الإشارة هنا إلى أنه ليس بالضرورة أن يحمل «النص المعجمي» كل أنواع التعريف في المدخل الواحد، بل أحيانا لا يتجاوز الشرح كلمة واحدة، وأحيانا أخرى نجد مدخلا واحدا يحمل العديد من أنواع التعاريف والشواهد.

2 - الوضع :

إذا كان الجمع كما رأينا سابقا يفرض تحديد المادة التي يجب أن يستوعبها المعجم، فإنّ «الوضع» يتعلّق بترتيب تلك المادة حسب طريقة معيّنة تيسّر على مستعمل المعجم الفوز بالمعلومات التي يبحث عنها. (39)

وبذلك فإن مصطلح الوضع يطلق على منهج معالجة المفردات المجمعّة قاموسيا. (40)

والوضع على مستوى النص المعجمي ينقسم إلى قسمين: ترتيب خارجي و ترتيب داخلي. (41)

1 - الترتيب الخارجي : ونعني به الترتيب الخارجي للمداخل المعجمية، حيث إنّ المداخل تتكون غالبا من : (42)

- مُعْجِمَةٌ عامّة أو خاصّة مثل «بحر» «ذرة»؛

- مُعْجِمَةٌ عربية قديمة أو حديثة مثل «هَيْلَع»، «مذباغ».

- مُعْجِمَةٌ معرّبة أو دخيلة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نتبيّن صلة المعجم بالفصاحة والمعجمية بالتراث والحدائث.

إن هذه المداخل المتنوعة ترد بأشكال وطرق مختلفة في المعجم، وهذه الطّرق هي ما يعرف بالترتيب الخارجي، وقد سمّى بعضهم هذا النوع من الترتيب بـ«التركيب العام للمعجم» ذلك أنه: التّرتيب الذي يتمّ من خلاله تركيب المداخل في معجم واحد بعد أن تمّ جمع مفردات كل مدخل في مدخلها الخاص بها. (43)

ولقد عرفت الساحة المعجمية العربية نظما كثيرة من الترتيب الخارجي وقد جمعها «أحمد عبد الغفور عطار» في كتابه «مقدمة الصحاح» ، وقسمها إلى أربع مدارس (44)، وهي كالتالي: (45)

1 - مدرسة الخليل: وتنسب إلى صاحبها «الخليل بن أحمد الفراهيدي» (175هـ) من خلال معجمه «العين»، وتعد هذه المدرسة أول مدرسة عرفها المعجمية العربية كما يعد صاحبها إمام المعجميين.

وقوام هذه المدرسة ترتيب المواد على الحروف بحسب مخارجها الصوتية، وتقسيم المعجم إلى كتب، وتفرّيع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية وقلب الكلمة إلى مختلف الصيغ التي تأتي منها.

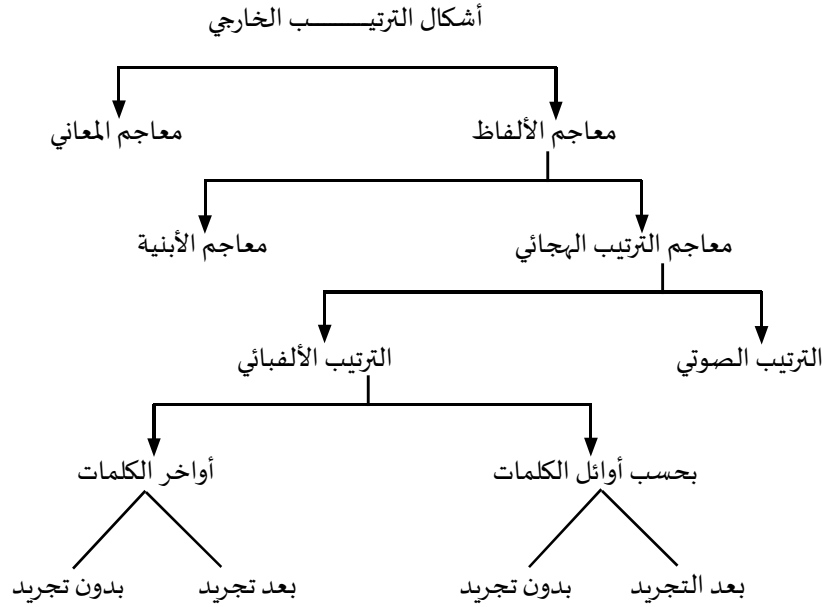
2 - مدرسة أبي عبيد: وهي التي تنسب إلى أحد أئمة اللغة والأدب «أبي عبيد القاسم بن سلام» (ت224هـ) من خلال كتابه «الغريب المصنف»، وقواعدها بناء المعجم على المعاني والموضوعات، وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى وتتقارب، وفضل «أبي عبيد» أنه جمع أشتات الرسائل اللغوية التي ألفت في مرحلة مبكرة في كتاب يضم أكثر من ثلاثين موضوعا.

3 - مدرسة الجوهري (395هـ): وتنسب إلى الجوهري من خلال تأليفه معجم «تاج اللغة وصحاح العربية»، ونظام هذه المدرسة ترتيب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة، ثم النظر

إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، والأول سماه بابا، والثاني فصلا.
4 - مدرسة البرمكي : وتنسب إلى «البرمكي»(433هـ) من خلال معجمه «المنتهى»، وتقوم هذه المدرسة بترتيب المعجم على الحروف الهجائية، مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني فالثالث فالرابع.

وتجدر الإشارة إلى أن أول من أتبع النظام الألف بائي باعتبار أوائل الأصول هو «أبو عمر الشيباني» (213هـ) في معجمه «الجيم» إلا أنه يؤخذ عليه الخلل والاضطراب في التصنيف وعدم مراعاة الحرف الثاني والثالث في الترتيب.⁽⁴⁶⁾

وبذلك فإن الترتيب الخارجي للمداخل المعجمية العربية يكون على الشكل الآتي:⁽⁴⁷⁾



2 - الترتيب الداخلي : ونقصد به طريقة ترتيب المداخل المعجمية داخليا وهو وارد في المعاجم على وجهين حسب النظرية المعجمية الحديثة:

أ- الترتيب بالاشتراك: ومفاده أن يدرج تحت المدخل الواحد كل معانيه لازمة ومتعدية، سواء كانت معيجمة بسيطة أو مركبة أو معقدة.⁽⁴⁸⁾

وقد استبد هذا النوع من الترتيب بمعاجمنا القديمة وحتى الحديثة إلا ما ندر منها، وعيب هذا النوع من الترتيب أنه يدرج في المدخل الواحد مفاهيم ومعان كثيرة ومتداخلة فيوهم أن كل المعاني ترجع إلى أصل واحد أساسي.⁽⁴⁹⁾

ومثاله في المعاجم القديمة ما يلي:

- «العَيْنُ: النَّاطِرَةُ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ... وَمِنَ الْبَابِ الْعَيْنِ: الَّذِي تَبَعْتُهُ يَتَجَسَّسُ الْخَبْرَ،... وَمِنَ الْبَابِ

العَيْنُ: الجَارِيَةُ النَّابِعَةُ مِنْ عُيُونِ الْمَاءِ... وَمِنْ الْبَابِ الْعَيْنِ: السَّحَابُ مَا جَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ... وَمِنْ الْبَابِ مَاءٌ عَائِنٌ، أَي سَائِلٌ...»⁽⁵⁰⁾

- «العَقْلُ الْجَجْرُ والنُّهْيُ... والعَقْلُ التَّنَبُّهُ فِي الْأُمُورِ... والعَقْلُ الْقَلْبُ... والعَقْلُ التَّمْيِيزُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ...»⁽⁵¹⁾

ومثاله في المعاجم الحديثة ما يلي:

- «الْكُرَيْكُ: الخَشَبَةُ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا الْخَبَّازُ الْأَرْغِفَةَ وَيَجْذِبُهَا (تُرْكِيَّةٌ)، أَدَاةٌ ذَاتُ يَدٍ خَشَبِيَّةٍ طَوِيلَةٌ تَنْتَهِي بِسِلَاحٍ مِنْ حَدِيدٍ مُنْبَسِطٍ عَرِيضٍ يُحْفَرُ بِهَا حَفْرًا خَفِيفًا وَيُنْقَلُ بِهَا التُّرَابُ وَنَحْوِهِ (مع)، آلَةٌ حَدِيدِيَّةٌ تُرْفَعُ بِهَا عَجَلَةُ السَّيَّارَةِ (مُحَدَّثَةٌ)».»⁽⁵²⁾

وفي هذه الأمثلة نلاحظ أنه على الرغم من أن المدخل واحد ولكن المعاني متعددة، ورغم ذلك فإن المعجميين اعتبروا أن المدخل الواحد يجمع كل المعاني مهما تفرقت وتباينت. ب- الترتيب بالتجنيس: إذا كان الترتيب بالاشتراك يقوم على حشد المعاني المختلفة تحت المدخل الواحد، فإن الترتيب بالتجنيس يقوم على إدراج كل معنى في مدخل مستقل به⁽⁵³⁾؛ أي أن المداخل تتعدد بعدد المعاني الواردة للمادة الواحدة.

ويهدف الترتيب بالتجنيس إلى غايات تربوية تاريخية حضارية متصلة بمفهوم الجمع زمانا ومكانا وموضوعا فضلا على أنه يميّز بين المداخل البسيطة والمركبة والمعقد، أي أنه يتدرّج في مراتب الاستعمال مهما كانت أنواع المداخل سواء أكانت أسماء أم أفعال، فهو يخصص م دخلا مستقلا لكل معنى من البسيط إلى المعقد⁽⁵⁴⁾.

ويعتمد التجنيس على نظرية حلقات البركة المائية التي تقول بأن الفروع تبتعد عن الأصول، مثلما تبتعد حلقات الماء عن بعضها إثر سقوط حصاة فيه، ويعتبر «المنجد» المعجم العربي المعاصر الذي طبق لنظام التجنيس، وهو يتميز بمنهجه التربوي الذي يساعد المستفيد منه، ولاسيما الطلاب على فهم نظام اللغة وعلى استيعاب خصائصها⁽⁵⁵⁾.

وبذلك يمكن أن نرتب مثلا المثال السابق مدخل العين عن طريق التجنيس ويكون كالاتي:

- العين: الجارحــة.

- العين: منبــع الماء.

- عين القــوم: سيدهم.

- عين الذهب: خالــصه.

- عين على الناس: جاسوس.

ومثاله في المعجم الحديث «المنجد»، ما يلي:

مدخل «القَبُّ»:

1 - قَبٌّ قَبًّا النَّبَّاتُ: يَبَسُ...»

2 - قَبٌّ قَبًّا الشَّيْءُ: جَمَعَ أَطْرَافَهُ...»

3 - قَبٌّ قَبًّا يَدُ فُلَانٍ قَطَعَهَا...»

4 - قَبَّ قُبُوبًا الْقَوْمُ: رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ فِي الْخُصُومَةِ...

5 - قَبَّ قَبًّا وَقَيْبًا طَيَّ الثَّـُوبُ: أَدْمَجَهُ...

6 - الْقَبُّ: رَيْسُ الْقَوْمِ وَسَيِّدُهُمْ...»⁽⁵⁶⁾

وبذلك فإننا نجد في هذا المعجم تحديدا للمعنى من خلال ترقيم المدخل كلما يستجد المعنى، ف«القَبُّ» لفظ واحد ولكن له ستة معاني، ولذلك نجد صاحب المعجم كلما يتجدد المعنى يتجدد عنده المدخل ويتعدد وكأنه يقول أن الأساس في بناء المعجم هو محتوى اللفظ وليس الحروف التي يتكون منها.

خاتمة :

وخلاصة القول في هذا البحث إن «النص المعجمي» هو المقياس الذي تقاس به جودة المعجم من رداءته، وبضبطه وضبط حدوده يستطيع صانع المعجم أن يتحكم في عمله المعجمي، فتطور المعجم مرهون بتطور نصه.

ذلك أن المعجم ما هو إلا تسمية أخرى لمجموعة النصوص المعجمية ككل، ومن هنا إذا أردنا أن نطور المعجم يجب الاهتمام بمبدأي الجمع والوضع القائم عليهما النص المعجمي، وذلك من خلال الاهتمام بالمادة المعجمية التي يقوم عليها الجمع وكذا إعطاء أولوية لهذه المادة من خلال ترتيبها ووضعها في النص المعجمي.

ولكي تتطور الصناعة المعجمية العربية يجب الاستعانة بما جادت به النظريات اللسانية الحديثة مع عدم إهمال التراث المعجمي العربي؛ فبالدمج بين التراث المعجمي العريق والنظريات اللغوية الحديثة نستطيع الارتقاء إلى نص معجمي متكامل وبالتالي إلى صناعة معجمية تضاهي صناعة المعاجم الغربية الحديثة.

هوامش البحث :

- (1) المعجمية مقارنة نظرية ومطبقة، محمد رشاد الحمزاوي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص: 71.
- (2) نفسه، ص: 275.
- (3) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلي خليل، دار النهضة العربية، ط1، بيروت-لبنان، 1997، ص: 13.
- (4) المعجمية التفسيرية، محند الركيك، مطبعة فاس، دط، فاس-المغرب، 2000، ص: 06.
- (5) نفسه، ص: 06.
- (6) نفسه، ص: 06.
- (7) علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط3، بيروت-لبنان، 2004، ص: 13، وينظر: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت-لبنان، 2003، ص: 20.
- (8) ينظر: مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، 1984،

- (31) تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجليلي، ص 205.
- (32) علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص: 139.
- (33) تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجليلي، ص: 205.
- (34) ينظر: حركة التأليف عند العرب، أمجد الطرابلسي، دمشق-سوريا، 1954، ص: 49.
- (35) ينظر: علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص: 143.
- (36) نفس، ص: 206-208.
- (37) علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص: 223.
- (38) ينظر: المعجم التاريخي العربي، مفهومه وظيفته و محتواه، علي توفيق الحمد، مقال ضمن مجلة المعجمية، الجمعية المعجمية التونسية، العدد 5 و6، تونس 1989، 1990.
- (39) المعجم العربي المعاصر، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 140.
- (40) قضية المصادر والمراجع في جمع مادة المعجم، إبراهيم بن مراد، ص: 03.
- (41) يدوج «إبراهيم بن مراد» التعريف كركن من أركان الوضع لا الجمع فهو يرى أن الوضع يقوم على ركنين أساسيين، أولهما الترتيب أي تبويب المفردات داخل المعجم المدون وتفصيل تنابعهما، وثانيهما التعريف وهو الإخبار عن الخصائص الذاتية والخصائص العلاقية التي تكون للمفردات (ينظر: مقال قضية المصادر والمراجع في جمع مادة المعجم، ص 03، وكذلك ينظر: أسس المعجم المختص اللسانية لإبراهيم بن مراد، مجلة اللسان العربي، ص: 03)، ونرى أن «محمد رشاد الحمزاوي» كان صائبا في تقسيمه، لأن الوضع هو منهج معالجة وبالتالي طريقة للترتيب إما داخليا أو خارجيا ولا مجال للمعلومات المستقاة من الخارج في ذلك.
- (42) المعجمية: مقارنة نظرية ومطبقة، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 383.
- (43) النظريات اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام، ط 1، مصر- القاهرة، 2006، ص: 256.
- (44) تجدر الإشارة إلى أن هذا التقسيم غير مضطرد عند كل الباحثين فهناك من يجعلهم أربعة مدارس، ومن الباحثين من يجعلهم خمسة مدارس وهكذا (ينظر مثلا: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان- الأردن، 1999).
- (45) ينظر: مقدمة الصحاح أحمد عبد الغفور عطار، ص: 95، 99، 101، 104.
- (46) مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، ص: 104.
- (47) صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص: 36.
- (48) المعجمية: مقارنة نظرية ومطبقة، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 348.
- (49) ينظر: المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، محمد رشاد الحمزاوي، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 78، الجزء 4، ص: 1047.
- (50) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979، مادة «عين»، ص: 199، 200، 201.
- (51) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة «عقل»، ص: 3046.
- (52) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشروق، ط 4، القاهرة- مصر، 2004، مادة «كريك»، ص 784.

- (53) المعجمية؛ مقارنة نظرية ومطبقة، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 384.
(54) المعجم العربي المعاصر، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 147.
(55) المعجمية؛ مقارنة نظرية ومطبقة، محمد رشاد الحمزاوي، ص: 214.
(56) المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ط19، بيروت-لبنان، دت،
مادّة «قب»، ص: 604.